دلالة الكلمة وكسر أفق التوقع في الفاصلة في القرآن الكريم.

إعداد

أحمد محمد عبد الوهاب متولي

باحث مصري

الملخص:

يدور هذا البحث حول الفاصلة الكاسرة لأفق التوقع عند المتلقي، والكشف عن بعض الأسرار البلاغية للفاصلة التي كسرت أفق التوقع؛ إذ لا تكون الفاصلة في النص القرآني المحكم لمجرد المحافة على سلامة الإيقاع فخسب؛ بل لأغراض يقتضيها أنواع السياقات المختلفة، ولا أدل على ذلك من فواصل لم تسهم في بناء الإيقاع الصوتي لرءوس الآيات؛ مع وجود غيره مما يؤدي معناها محافظا على سلامة الإيقاع غير أن الكلمة المستعملة في موضعها أبلغ و أفصح مو افقة للمعنى، والبحث يعالج الفاصلة من جانبين، هما:

أولا: الفاصلة المنفردة وكسر التوقع.

ثانيا: تناسب الفواصل وتوهم كسر السياق

ثم ذكر النتائج المتوصل إليها، وثبت بالمراجع، المصادر.

الكلمات المفتاحية: دلالة – كسر – أفق – التوقع – الفاصلة- القرآن الكريم.

Abstract:

This research revolves around the comma that breaks the recipient's horizon of expectation, and revealing some of the rhetorical secrets of the comma that breaks the horizon of expectation. The comma is not in the strict Qur'anic text simply to maintain the integrity of the rhythm, so it is lost; Rather, for purposes required by different types of contexts, there is no evidence of this than the breaks that did not contribute to building the vocal rhythm of the headings of the verses. With the presence of others that convey its meaning while maintaining the integrity of the rhythm, the word used in its place is more eloquent and more eloquent in agreement with the meaning. The research addresses the comma from two aspects, namely:

First: the single comma and the expected break.

Second: The commas fit and give the illusion of breaking the context

Then he mentioned the results reached ، and documented with references and sources

المقدمة:

تناولت كثير من الدراسات - قديما وحديثا- الفاصلة القرآنية بالبحث والاستقصاء، وقدمت جهودا عظيمة في الكشف عن الأغراض الدلالية المختلفة للفاصلة القرآنية، فـ" الفاصلة قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره ليس رعاية للتناسق الصوتي فحسب، بل رعاية للمعنى أيضا، وهذا هو ما يتفرد به القرآن الكريم" [1]. ومراعاة المعنى والسياقات المختلفة المقام الرئيس للفاصلة القرآنية، التي قد تصنع بدورها إيقاعا صوتيا، يؤثر في المتلقي، وهو ما دعا الباحث أن يتعرض في دراسته لبعض النماذج التي توهم فيها كسر السياق تناسبا للفاصلة، فيحاول الباحث إضافة لجهود السابقين أن يتناول الفاصلة من خلال كسر أفق التوقع عند المتلقي، وذلك من خلال المنهج الوصفي التحليلي، ولا يتعرض الباحث للفواصل القرآنية المتماثلة، ولا المتقاربة، وإنما تلك الفاصلة التي أحدثت مفاجأة أو صدمة للمتلقي، فأنتجت معنى دلاليا ما كان للمتلقي أن يتعرفه لولا تلك الفاصلة التي كسرت توقعه؛ لذا سيدور المبحث حول مطلبين، هما:

أولا: الفاصلة المنفردة وكسر التوقع.

ثانيا: تناسب الفواصل وتوهم كسر السياق.

[1] - الإعجاز البياني في القرآن الكريم: محمد محمد داود، دار جياد للنشر والتوزيع، ط الأولى، 2011، ص 48.

المطلب الأول:

أولا: الفاصلة المنفردة وكسر التوقع

قد تأتي فاصلة منفردة وذلك بعد عدة فواصل متماثلة في بعض الآيات القرآنية، وهو ما يكسر أفق التوقع عند المتلقي، ومن هذه الفواصل قوله تعالى: (أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ (٥٩) وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ (٦٠) وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ (٦١) فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟) (النجم: ٥٩-٦٢). فقد تماثلت الفواصل في: (تعجبون، تبكون، سامدون)، وجاءت الفاصلة "واعبدوا" كاسرة لأفق التوقع عند المتلقي، وذلك بمخالفتها الفواصل السابقة عليها، وتلاحظ عدة لطائف بلاغية أنتجها كسر التوقع بتغيير الفاصلة، منها:

* أن تلك الفاصلة المنفردة أحدثت في النهاية صدمة للمتلقي, وجذبا لانتباهه, وإظهارا لمعرفة الغرض الأصلي للسورة, وهو إفراد الله تعالى بالعبودية, فلا إله غيره, " إذن عدل القرآن إلى الفاصلة المنفردة في آخر السورة إيثارا للمعنى على تناسب الإيقاع, وجاءت الفاصلة مخالفة فيما يشبه إسدال الستار في نهاية المشهد, و إيحاء بأن لا قول بعد هذا القول الفصل، ولا حجة لهم بعد كل هذا البيان ألا يسجدوا لله ويعبدوه" [1].

وكون الفاصلة المنفردة في نهاية المشهد, وبعد تلك الفواصل المتماثلة, هو ما يتفق مع التسميط, المشتق من" السمط الذي هو خيط العقد, لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حب العقد, وقافية البيت أو سجعة النثر, أو فاصلة الآية بمنزلة السمط الذي يجمع حب العقد ويربطه"[2].

* أيضا عُوّل في الفاصلة المنفردة "اعبدوا" في عدم ذكر الضمير (اعبدوه) على ذكر لفظ الجلالة قبلها في "فاسجدوا لله"، وهو ما به يستغنى عن ذكر الضمير لفهمه من خلال السياق.

---

[1] - إيقاع الفواصل المنفردة، دراسة دلالية: محروس السيد بريك، مجلة كلية دار العلوم، عدد 65، ص194.

[2] - بديع القرآن: ابن أبي الأصبع المصري، نهضة مصر، القسم الثاني، ص101.

* كذلك يلاحظ التناسب الصوتي، والمزاوجة التي ثمنها حذف الضمير من الفاصلة بين الفعلين "فاسجدوا"، و"اعبدوا".

* كذلك عمل إيجاز الحذف في الفاصلة المنفردة " واعبدوا " على تقدير أكثر من محذوف، كالضمير العائد على الله تعالى، وكتوصيف العبادة المأمور بها، ولو جيء بالضمير فقيل (واعبدوه) لما تناول السياق توصيف العبادة، ولو ذكر الضمير وتوصيف العبادة لكان في ذلك إطناب غير محمود، بخلاف الإيجاز الذي أوجد هذه الأغراض من خلال السياق، " (أي واعبدوه دون الآلهة) دون الآلهة مستفاد من لام التخصيص و أيضا العبادة مع عبادة غيره كلا عبادة" ([1]).

كذلك التسميط في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (17) ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ (18) يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ (19)﴾ (الانفطار: 17 -19). حيث توالت الفواصل المتماثلة، ثم كسر التوقع بهذه الفاصلة المنفردة "لله "، و يلاحظ أيضا أن الفاصلة المنفردة في نهاية السورة، وبعد تلك الفواصل المتماثلة هو أنتجت البديع (التسميط)، كذلك يلاحظ أنه من الممكن أن تختم السورة بفاصلة متماثلة مثل (المتين)، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ(٨)﴾. (الذاريات: 58). أو فواصل متشابهة، مثل (الرحيم، الكريم، العظيم)، إلا أن التسميط و افق السياق؛ إذ جاء التسميط في نهاية السورة، وذلك بعد أن تناولت السورة في أولها بعضا من أهوال يوم القيامة، ثم مقام الأبرار، ومقام الفجار، وقد ناسب ذلك أن يكون الختام "والأمر يومئذٍ لله"، بذكر الاسم (الله)، وعدم ذكر فاصلة أخرى تحمل الاسم والصفة، فكما تفرد الله تعالى بأمر ذلك اليوم لنفسه، اختار الفاصلة التي تفرد بها" تخ "، اسم لايشاركه مشارك فيه أحد.

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ (٩) وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ (١٠) وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾. (الضحى: ٩–١١).كسر التسميط في آخر السورة أفق التوقع عند المتلقي، ولو كان تناسب الفواصل دون إنتاج غرض للدلالة أصلا أو أساسا لجاء السياق بكلمة (خبرأو عبر) مثلا، و إتما جاءت الفاصلة مختلفة عن سو ابقها "فحدِّث"،

[1] - حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ج18، ص306.

وذلك تناسبا للمراد؛ فإن النعم التي يتحدث بها النبي - صلى الله عليه وسلم- كثيرة، أجلها الرسالة، و" التحدث هنا، هو صريح ما تعلق به مما يتصل بمهمة الرسول التي اصطفى لها، وهو أن يبلغ رسالة ربه، ومن هنا نؤثر أن تكون النعمة هنا، مهما يكن من دلالاتها المعجمية اللغوية، هي الرسالة، أكبر النعم التي يؤثر بها نبي مرسل" ([1]).

وتبليغ الرسالة لا يناسبه خبر أو نبأ اللذان يفيدان النقل أوالتعريف فقط، أو عبر التي تبين نوع الأسلوب، لذلك " اختار قوله "فحدِّث" على قوله فخبر، ليكون ذلك حديثا عنده لا ينساه، ويعيده مرة بعد أخرى" ([2]). وبحمل النعمة على حقيقة النعم المعنوية والمادية، نجد أن البنية الصوتية لكلمة "فحدِّث " تدل على هيئة ذلك التحدث، وكيفيته، فهناك " حفيف رقيق يسمع لصوت (الثاء) مع اللثغ، مما يوحي بالرقة والبضاضة والطراوة والدفء" ([3])، وهو ما يناسب التحدث بالنعم، " وأن شكل التحديث عن النعمة ينبغي أن يكون بهيئة مخصوصة، هي هيئة الهمس والهدوء والتواضع، لاهيئة التباهي والتعالي والتكرار الذي يحمل كبر المتغطرسين من ذوي النعم"([4])، لاسيما إذا كان المتحدث داعيا إلى الله، وأعظم منهما أن يكون المتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

كذلك في قوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ (٤) فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥)﴾. (المسد: ١ -5). كسر الإيقاع بانفراد الفاصلة " مَّسَدٍ" عن الفواصل السابقة المنتهية بحرف الباء، وقد أنتج كسرا للتوقع عند المتلقي إلا أنه و افق السياق التاريخي، و أنتج غرض التهكم، فكلمة" (مسد) الميم والسين والدال أصل صحيح يدل على جَدْل شيء وطيِّه. فالمسد: ليف يتخذ من جريد النخل. والمسد: حبل يتخذ من أوبار الإبل" ([5])، وهو

---

[1] - التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط السابعة، دت.ج1، ص54.

[2] - تفسير الفخر الرازي: محمد الرازي، ج31، ص221.

[3] - خصائص الحروف العربية ومعانيها: إحسان عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998، ص60.

[4] - كسر التوقع اللغوي في المكونات الأسلوبية: أحمد جمال الدين أحمد، ص84.

[5] - معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دت.ج5، ص323.

ما يحيلنا إلى الحال التي كانت عليها أم جميل إبان إيزاء النبي صلى الله عليه وسلم، فقد " ذكر أنها كانت تحمل الشوك، وتطرحه في طريق رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فأنزل الله فيها: " وامر أته حمالة الحطب".. فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب، والحطب لا يكون إلا في حبل، ومن ثم جعل الحبل في عنقها، ليقابل الجزاء الفعل"([1])، فجاءت الفاصلة منتزعة من أحداث القصة، وأكدت على أن الجزاء من جنس العمل، و أنتجت معنى التهكم ، وقد ثمن معنى التهكم استعمال السياق للفظة جيد لاعنق، " والمعروف أن يذكر العنق إذا ذكر الغل، أو الصفع، كما قال تعالى: "إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا"، ويذكر الجيد إذا ذكر الحلي أو الحسن، فإنما حسن ههنا ذكر الجيد في حكم البلاغة لأنها امرأة، والنساء تحلي أجيادهن، وأم جميل لا حلي لها في الآخرة إلا الحبل المحمول في عنقها" ([2]).

وقد كسر أفق التوقع عند المتلقي بكسر الفاصلة في صلب السورفي مواضع متعددة، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ (النساء: ١٤). فقد سبقت الآية الكريمة بفاصلتين هما ﴿والله عليمٌ حَلِيمٌ﴾ و ﴿وذلك الفوز ٱلْعَظِيمُ﴾. وقد يتوقع المتلقي تناسبا للفواصل أن تنتهي الفاصلة بعدهما بما يتفق معهما، مثل (وله عذاب أليم)، غير أن نهاية الفاصلة بـــ" مهين" هو ما يتفق مع السياق، ويحقق المعنى؛ فقد سبق العذاب المهين بعذاب النار، وهو عذاب أليم للجسد، وقد أضاف العذاب المهين معنى جديدا، فقد "أراد الله - تعالى- بالعذاب المهين عذاب الروح بالإهانة، يعني أن بدن هذا العاصي يعذب في النار من حيث هو حيوان يتألم، وروحه تتألم بالإهانة من حيث هو إنسان يشعر بمعنى الكرامة والشرف" (3)، كذلك فإن في الفاصلة "وله عذاب مهين" إيغالا؛ فقد يتم المعنى عند " يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا) غير أن السياق أوغل و أتى بمعنى جديد، وهو العذاب المعنوي المهين.

---

[1] - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : ابن هشام، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة. ج2،ص111.

[2] - الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية: ابن هشام، ج2،ص113.

[3] - تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج4، ص 433، 434.

كذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ (٣)﴾.(النساء: ٣) ، وقد خالفت الفاصلة "تعولوا " في الآية الكريمة الفاصلتين السابقتين عليها "رقيبًا" و"كبيرًا"، وكسر الإيقاع بهذه الفاصلة كسر التوقع عند المتلقي، لكنه وافق أسباب النزول، وعملت الكلمة على التوسع الدلالي، فقد عدد ابن العربي في أحكام القرآن سبعة معان لكلمة "تعولوا"، وهي:

الأول: الميل، عال الرجل إذا مال. الثاني: عال: زاد. الثالث:عال: جار في الحكم. الرابع:عال: افتقر. الخامس: عال: أثقل. السادس: القيام بمؤونة العائل. السابع: عال: أي غُلب، ومنه عال صبره أي غلب. [1]، وكل هذه المعاني تدل على التعب والمشقة والجوروالخروج عن حد الاعتدال، وهو ما يتلائم مع سبب نزول الآية الكريمة فـ"عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قوله - تعالى- : " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ"؛ فقالت: يا ابن أختي! هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشركه في ماله ويعجبه مالها وجمالها؛ فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن من الصداق" [2]، فكأن كسر الإيقاع الذي كسر التوقع أحدث هزة قوية، ودويا عاليا للتحذير من عدم العدل بين النساء، والتحذير من هضم حقوق اليتامى الربائب.

كذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ (٤٤)﴾ (النساء: ٤٤) فقد كسرت الفاصلة "السبيل" الإيقاع، وكسر أفق التوقع عند المتلقي، وقد سبقت بفواصل عدة منتهية بحرف الألف، "شهيدًا ،حديثًا، غفورًا"، وقد يتوقع المتلقي (السبيلا)، فهي مفعول به منصوب، وقد يكسر التوقع بكسر القياس النحوي، فتزاد الألف محافظة على تناسب الفواصل، لاسيما وقد وردت في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ (٦٦) وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠(٦٧)﴾ (الأحزاب:

[1] - ينظر أحكام القرآن لابن العربي: ج1، ص410.

[2] - الاستيعاب في بيان الأسباب: سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، ص361.

٦٦ -67). إلا أن السياق القرآني لا يعتمد تناسب الفواصل إلا إذا كانت هناك معنى دلالي، وغرض مقصود، وإلا لكسر التوقع وزيدت الألف في هذه الفاصلة كما زيدت في غيرها التي هي مثلها، إلا أن كسر التوقع هنا جاء بكسر تناسب الفواصل مو افقا لسياق المقام؛ ففي الفاصلتين "ٱلرَّسُولَا" و "ٱلسَّبِيلَا"" ما يدل على مقام التحسر، والندم والعويل، ويناسبه كسر التوقع بزيادة الألف كما سيأتي إن شاء الله، أما في آية سورة النساء فليس ثمة توجع، ولا نحيب فيناسبه عدم ذكر الألف، والبقاء على الأصل، الذي به كسر الإيقاع فكسر أفق التوقع عند المتلقي، فالآية الكريمة تتحدث عن أحبار اليهود الذين أوتوا بعض علم التوراة، وحادوا عن الجادة، واشتروا الضلالة بالهدى، وهم يوادون أن يضل المؤمنون كما ضلوا، ولم يضل المؤمنون، ولم يحرف القرآن، ولم يكن هناك ندم ولا تحسر، فلم يخرج عن القياس، ولم تزد الألف.

وفي سورة طه كسر الإيقاع في فاصلة واحدة، يقول تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِي فَٱضۡرِبۡ لَهُمۡ طَرِيقٗا فِي ٱلۡبَحۡرِ يَبَسٗا لَّا تَخَٰفُ دَرَكٗا وَلَا تَخۡشَىٰ (٧٧) فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ (٧٨) (طه: 77–٧٨). فبينما جاءت الفاصلة في السورة الكريمة الألف، كسر التوقع في كلمة " غَشِيَهُم "، وقد سبقت بـ " العُلى"، و "تزكى" و "تخشى"، وكسر التوقع جاء مو افقا لسياق المقام، فالأسلوب " فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ " خبري، عُرف المسند إليه فيه بالموصولية، للتفخيم والتهويل، فالقرآن الكريم يصف ما لاقى فرعون وجنوده، وهم يتبعون موسى -عليه السلام- وأتباعه، من غرق وعذاب، وسكون الميم في نهاية الفاصلة يناسب سكون المذهول عند معالجة الشدة والمصيبة الخارقة للعادة، بل يناسب مخرجُها وسكونُها سكونهم الأبدي، وهلاكهم، وقطع دابرهم. كذلك عمدت الفاصلة إلى الإيجاز؛ "فالله -سبحانه- لايريد تكرار الحديث عما حل بفرعون وجنوده الذين لحقوا بموسى والموحدين معه، بل أشار إلى ذلك إشارة فيها تهويل وفيها دليل على أن قصتهم معروفة ومشهورة في التاريخ" (1).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ

[1] - البديع في القرآن، أنواعه ووظائفه:إبراهيم محمود علان، ص285.

وَٱلۡمَطۡلُوبُ (٧٣) (الحج: ٧٣). كسرت كلمة "المطلوب" التوقع عند المتلقي؛ إذ سبقت بالفواصل "نصير، والمصير"، وكسر الإيقاع في كلمة "المطلوب" ناسبت السياق اللغوي، وعملت على توسيع المعنى، و أنتجت أغراضا بلاغية ما كانت لتحقق إلا بكسر الفاصلة؛ فكلمة" المطلوب " ناسبت كلمة "الطالب" قبلها ليتحقق بتو افقهما معا البديع المعنوي طباق الإيجاب الذي يؤكد المعنى، والبديع اللفظي الجناس الاشتقاقي الذي له وقعه على الأذن، كذلك تحقق في قوله " ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ " التذييل الذي يلخص مضمون السابق عليه، ويؤكده، كذلك في" ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ" توسع في المعنى، فقد " قيل: الطالب والعابد والمطلوب والمعبود فهو عاجز متعلق بعاجز، وقيل: هو تسوية بين السالب و المسلوب، وهو تسوية بين الآلهة والذباب، في الضعف والعجز، وعلى هذا فالطالب الإله الباطل، والمطلوب الذباب يطلب منه ما اسنفذه منه، وقيل الطالب الذباب والمطلوب الآلهة، فالذباب يطلب منه ما يأخذه مما عليه، والصحيح أن اللفظ يتناول الجميع" ([1]).

أما في قوله تعالى: (رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ (١٧) (الرحمن: ١٧). فقد كسرت الكلمة " المغربين" الإيقاع في رء وس الآي، الذي ينتهي معظمها بألف ونون، والذي سوغ كسر التوقع في هذه الفاصلة " البنية الداخلية للقرينة التي جاءت فيها..فقد ارتكزت الفاصلة " ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ " على فاصلتها الداخلية " ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ "، كما كان للتقسيم والتقابل دور آخر"([2])، فإن كانت الكلمة كسرت الإيقاع بين الآيات إلا أنها حافظت على الإيقاع الداخلي، منتجة البديع اللفظي في الجناس، والمعنوي في الطباق، وهو ما يحيلنا إلى الفاصلة المنفردة في سورة التحريم، في قوله تعالى: (عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبۡدِلَهُۥٓ أَزۡوَٰجًا خَيۡرًا مِّنكُنَّ مُسۡلِمَٰتٖ مُّؤۡمِنَٰتٖ قَٰنِتَٰتٖ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٖ سَٰٓئِحَٰتٖ ثَيِّبَٰتٖ وَأَبۡكَارًا(٥) (التحريم: ٥)،. فقد اشتملت السورة الكريمة على اثنتي عشرة فاصلة، اتفق جميعها في الإيقاع عدا الفاصلة المشار إليها في الآية الكريمة السابقة،

[1] - الأمثال في القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981، ص249.

[2] - الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط الثانية، 2000، ص211.

والفواصل:(رحيم، الحكيم) (الخبير، ظهير) (و أبكارًا)(يؤمرون، تعملون) (قدير، المصير) (الداخلين، الظالمين، القانتين)، ويلاحظ أن الذي سوغ كسر التوقع، بكسر الإيقاع البنية الداخلية للفاصلة أيضا؛ فالذي سوغ مجيء الفاصلة " وَأَبۡكَارٗا " كلمة "ثَّيِّبَٰتٖ "، وقد أنتج اجتماعهما البديع المعنوي الطباق، فإن كانت الكلمة كسرت التوقع بكسر الإيقاع فإن الكلمة جرت على توقع المتلقي مناسبة للسياق، والبنية الداخلية.

كذلك في قوله تعالى: (وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا (١) فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا (٢) وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا (٣) فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا (٤) فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا (٥) عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ (٧) فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ (٨) وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ (٩) (المرسلات: ١ - 9) كسرت الفاصلة " لَوَٰقِعٞ " الإيقاع، والتوقع عند المتلقي، وهي فاصلة منفردة، و يلاحظ إنتاج الفاصلة البديع التسميط؛ إذ وقعت الفاصلة في جواب القسم، فكانت الفاصلة بمثابة المصب التي تنتهي إليه الأمواج، وكسر التوقع أدهش المتلقي الذي انتظر الجواب بعد تعدد القسم، وعمل على استثمار الشعور النفسي عنده؛ ليقع في قلب المتلقي تحقق الوعد والوعيد، وليقضي بتلك الفاصلة الصادمة بعد هذا القسم الطويل على أي هاجس عنده، أوشك، وقد ناسبت الكلمة معنى الجواب، بل إنها مع كسر الإيقاع استطاعت في غاية الفصاحة والإبداع أن تربط القسم بما بعده، وأن تدعو المتلقي للتدبر والتفكر فيما ينكر، وأن يربط بين المقسم به، وجواب القسم من خلال بيئته التي يحيا فيها، فالمقصود بـ" لَوَٰقِعٞ " " أي كائن لابد من وقوعه، وأسبابه عتيدة عندكم، وإن كنتم لا ترونها،كما في هذه الأشياء التي أقسم بها وما تأثر عنها" ([1]).

كذلك تكررت الآية الكريمة: (مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَ لِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٣) (النازعات:33) في سورة النازعات وفي سورة عبسٍ (مَتَٰعٗا لَّكُمۡ وَ لِأَنۡعَٰمِكُمۡ (٣٢) (عبس:32) فاصلة منفردة، كسرت الإيقاع والتوقع عند المتلقي، والسمات الأسلوبية، وجو السياق والموضوع الذي وجدت فيه الفاصلة متشابه إلى حد كبير في السورتين، و أنتجت الفاصلة

[1] - نظم الدرر: البقاعي، ج21، ص167.

"وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ " في السياقين التسميط؛ ففي النصين الكريمين تأتي الفاصلة عقب تعدد نعم المولى عزوجل، وتعدد مظاهر قدرته، ثم تأتي هذه الفاصلة لتبين سبب إسداء هذه النعم، والتأكيد عليها، ففي سورة النازعات، يقول تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا (٢٩) وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا (٣١) وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا (٣٢) مَتَٰعًا لَّكُمْ وَ لِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ (٣٥)﴾ (النازعات: ٢٧ – ٣٥)، وفي سورة عبس يقول تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَآئِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤)﴾ (عبس: ٢٤ -34) . والذي سوغ كسر الإيقاع في الآيات - أيضا- البنية الداخلية للفاصلة، والإيقاع الداخلي في الآية، كذلك قد يلاحظ أن الفاصلة في النصين منفردة، ولم تكن بداية لفواصل متفقة جديدة، وذلك أيضا مراعاة لسياق المقام فيهما؛ إذ بعد الفاصلة " مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ " في النصين يأتي الحديث عن يوم القيامة، فتنقطع الفاصلة عن السابق عليها واللاحق لها.

أما الفاصلة " ٱلصَّآخَّةُ " التي كسرت الخاء فيها الإيقاع، ولم تكن بداية لتناسب الفواصل بعدها، " فإن لها شأنا آخر، على الرغم من ورود فواصل بعدها على الهاء أو التاء المربوطة الساكنة؛ لأن حرف الخاء المضعف أوضح في السمع والحس من الهاء. وهذا قصد فني رفيع إلى تعظيم القيامة في النفس والحس عن طريق الصدمة القوية والمفاجأة المتعمدة" (1)، و يلاحظ أن كسر التوقع بكسر الإيقاع في كلمة " ٱلصَّآخَّةُ "هو الانتقال من غرض إلى غرض ، ومن سياق مقامي إلى سياق مغاير، وهو- أيضا- ما يحيلنا إلى قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ (٧) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا

[1] - الفاصلة في القرآن: محمد الحسناوي، ص211.

(٨) وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا (٩) وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ (١٠) فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا (١١) وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا (١٢)(الانشقاق: 7 -12) . فقد كسرت الكلمة "ظهره" الإيقاع، والتوقع عند المتلقي، وجاءت فاصلة منفردة، فقد سبقت بالفاصلتين "يسيرًا" "مسرورًا"، وبعدها "ثبورًا " "سعيرًا "، فكانت هذه الفاصلة بمثابة هزة قوية، تجذب المتلقي لتنقله من سياق إلى سياق آخر، بل إنهما سياقان متضادان، وقد أنتجت الفاصلة المنفردة مع تركيبها " وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ " اللون البديعي الاحتباك؛ إذ " ذِكر اليمين أولا يدل على الشمال ثانيا، وذكر الوراء ثانيا يدل على الأمام أولا" ([1]) .

[1] - نظم الدرر: البقاعي، ج21، ص343.

المطلب الثاني:
تناسب الفواصل وتوهم كسر السياق

قد تتناسب الفواصل، ويتحقق الإيقاع في الآيات الكريمة، غير أن المتلقي قد يتوهم كسرا للسياق اللغوي مراعاة للفاصلة، والمتحقق أن القرآن الكريم راعى الفاصلة، لكن ليست هناك مخالفة للسياق، ولا يراعي القرآن الكريم الفاصلة أبدا على حساب المعنى، ولا يصح إطلاقا اختزال الفواصل المتناسبة في سلامة الإيقاع، وإنما ثمة أغرض دلالية أنتجتها تناسب الفواصل في القرآن الكريم، يضاف لها سلامة الإيقاع، وقد تتبع العلماء بعض المواضع التي روعي فيها الفاصلة، وتوهم فيها كسر السياق، غير أن الباحث يتعرض بشيء من التفصيل لا لذكر تلك المواضع، وإنما للأسباب التي من أجلها تناسبت الفواصل، وإنتاج بعض الأغراض البلاغية لتلك الدلالة، ومن هذه المواضع تأخير الفاعل عن فعله، أو تقديم الضمير على ما يفسره، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾﴾ (طه: ٦٧).وقد يتوقع المتلقي أن السياق إن لم يخالف أصله كان فأوجس موسى في نفسه خيفة، إلا أنه مراعاة للفاصلة أخر الفاعل " مُّوسَىٰ" ومراعاة الفاصلة هي إحدى ثمرات تأخر الفاعل، لكنها ليست السبب الوحيد، وقد مر بنا أن القرن الكريم كسر الإيقاع مراعاة للمعنى، ومن الأغراض البلاغية لتأخير الفاعل في الآية الكريمة التشويق؛ فإن" النفس تتشوق لفاعل " فَأَوْجَسَ " فإذا جاء بعد أن أخر وقع بموقع"([1])، كذلك يلاحظ الباحث مسارعة السياق إلى العناية بتقديم المهم، وهو حال موسى بعدما رأى الناس الحبال والعصي تسعى، وإعلاء أمر الدين على الذات فإن نبي الله موسى -عليه السلام- وقع في قلبه الخيفة من أن يفتن الناس بسحرة فرعون، فكأن السياق يلفت الأنظار إلى الاهتمام بأمر العقيدة والدين، لا ذات موسى -عليه السلام- والسحرة.

كذلك قد يتوهم المتلقي كسر السياق رعاية للفاصلة في التقديم والتأخير في قوله

[1] - البرهان فى علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ، تحقيق أبى الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، دط، 2006. ج1، ص62.

تعالى: ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ٧٠﴾ (طه: ٧٠). فقد قدم في السياق هارون على موسى عليهما السلام، وموسى عليه السلام هو الأفضل، ولاسيما أنه في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ (الشعراء: ٤٧ -48). قدم موسى على هارون، يقول السيوطي: " و أقوى ما استدلوا به الاتفاق على أن موسى أفضل من هارون، ولمكان السجع قيل في موضع " هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ "، ولما كانت الفواصل في موضع آخر بالواو والنون قيل: "موسى و هَٰرُونَ " "[1] ، ولا شك أن السجع هو إحدى اللطائف البلاغية التى أنتجها تناسب الفواصل، إلا أن السياق لم يكسر لأجل الفاصلة، بل إن الفاصلة ناسبت السياق، وهو ما قرره السيوطي بعد ذلك، وتقديم هارون في سورة طه، وتقديم موسى في سورة الشعراء، ثمن اللحمة الواحدة للسياق القرآني الجليل؛ فإن المتتبع لسيرة نبي الله هارون في سورة طه يجد أنها مرت بمراحل متعددة، فهو مدعو به من نبي الله موسى أن يكون وزيره، ونصيره، بل شريكه في دعوته، ثم هو المأمور بالذهاب مع نبي الله موسى للذهاب إلى فرعون، وهو المتوجس خيفة مع موسى من فرعون، وهو المطمأن من قبل الله مع نبي الله موسى من بطش فرعون، وهو المخاطب مع نبي الله موسى من فرعون، وهو المتهم بالسحر مع نبي الله موسى، وهو المخَلَّف من موسى في قومه، وهو الناصح قومه حين ذهب موسى للقاء ربه، وهو المعاتَب من نبي الله موسى، والمعتذِر من فعلة قوم موسى، والمشفق من شدة أخيه معه، ولم تُذكر هذه المراحل في سورة الشعراء، بل دار السياق حول نبي الله موسى، فـ" ذكر هارون تكرر في سورة (طه) كثيرا وقد جعله الله شريكا لموسى في تبليغ رسالته، في حين لم يرد في سورة الشعراء إلا قليلا" [2]، وعليه فلما كان هارون قسيما لموسى في سورة طه ، وكان ذكره عمدة فسبق ذكره ذكر نبي الله موسى، وتنوسبت الفواصل، ولما لم يكن هارون قسيما لموسى في سورة الشعراء، بل جاء ذكره طفيفا، سبق ذكر نبي الله موسى ذكر نبي الله هارون- عليها السلام- وتنوسبت الفواصل.

كذلك قد يتوهم كسر التوقع رعاية للفاصلة في قوله تعالى: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ ٢٢﴾ (النجم: ٢٢). ؛ إذ قد ينتظر المتلقي (جائرة) أو (ظالمة)، غير أنه يصدم بهذه

[1] - الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي، ص610.

[2] - التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط الرابعة ، 2006 . ص222.

الكلمة الغريبة التي كسرت توقعه، غير أن هذه الكلمة و افقت سياق المقام؛ فقد جعل المشركون الأصنام (اللات والعزى ومناة) وهن أصنامُ نساءٍ بناتِ الله- تعالى الله- كذلك جعلوا الملائكة إناثا، وزعموا أنهم بنات الله، وهم يرون العار في إنجاب البنات، فاختار السياق القرآني هذه اللفظة الغريبة مو افقة لغرابة فعلهم، وشذوذ فكرهم، كذلك " لفظ "**سجر**" جاء هنا ليحقق غرضين مهمين أحدهما رعاية الفاصلة التي غلبت فيها الألف المقصورة والثاني الإيحاء بما في الضاد من تفخيم بأن الجور في هذه القسمة لا مزيد عليه، والثالث ما في "ضيزى" وهي للتفضيل من زيادة في معناها على معنى (جائرة) التي هي صفة مشبهة "([1]) .

ومثله قوله تعالى: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ (القمر:١٣). فقد يتوقع المتلقي أن يكون مجيء كلمة " وَدُسُرٍ " لمجرد رعاية الفاصلة، غير أن الكلمة في سياق التركيب " ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ " أدت المعنى بأبلغ أسلوب وأدقه، فقد عملت على التوسع الدلالي، ورفعت توهما غير مراد؛ فقد دارت تفسيرات العلماء في معنى كلمة "ودُسُر" حول أربعة أقاويل، "أحدها: المعاريض التي يشد بها عرض السفينة، الثاني: أنها المسامير دسرت بها السفينة، أي شدت، الثالث: صدر السفينة الذي يضرب الموج، لأنها تدسر الماء بصدرها، أي تدفعه. الرابع: أنه طرفها وأصلها" ([2]).

كذلك أنتجت الكلمة في سياق التركيب ما يدل على قدرة المولى عزوجل؛ إذ يصف السياق القرآني الأهوال التي لاقاها المعاندون من قوم نوح عليه السلام، وكيف كانت نجاة المهتدين بمجرد " ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ " ، لا بسفينة ضخمة، أو فلك عظيم، ففيه " إشارة إلى أن نجاتهم وحفظهم - نوحا وقومه- في مقابل تلك البلية العامة السماوية والأرضية الشديدة، إنما كانت بوسيلة ضعيفة وهي ألواح وصفيحات من خشب وما يطعن فيها لشدها واستحكامها وربطها من مسامير وألياف وغيرها. وفيها إشارة أيضا إلى أن هذه السفينة لم تكن مصنوعة على استحكام ودقة صناعية وطريق علمي حتى يصح

[1] - البيان في روائع القرآن: تمام حسان، عالم الكتب، ط الأولى، 1993. ص288.

[2] - النكت والعيون: أبو الحسن على بن محمد الماوردى البصرى ، دار الكتب العلمية، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت ج5، ص412.

إطلاق السفينة الكاملة عليها" ([1])، وقد يلاحظ أن السياق القرآني لو استخدم كلمة (مسامير) لما وسعت الدلالة، كذلك قد تخالَف الحقيقة؛ إذ ليست سفينة نوح من خشب ومسامير فقط، أيضا قد يُتوهَم أنها سفينة مصنوعة على منهج علمي، فيها من الإحكام والإتقان ما يجعلها تجري وسط موج كالجبال، بم تنتجه كلمة مسامير من القوة والصلابة، وهو ما لم يتحقق.

كذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ (طه: ١١٧). فقد يتوقع المتلقي (فتشقيا)، وأن "فتشقى "إنما جاءت فقط رعاية للفاصلة، وقد ضمنت الكلمة سلامة الإيقاع، غير أن هذا لم يكن على حساب المعنى، بل ما و افق المعنى، ولائم السياق؛ فالحديث في السياق في السورة الكريمة كان عن آدم عليه السلام وحده؛ فهو المعهود إليه، وهو الناسي ، وهو المأمور بالسجود له من قبل الملائكة، وهو المخبَر بنعيم الجنة، وهو الموسوس إليه من الشيطان، حتى بعد الأكل من الشجرة، و إبداء السوءة هو وحده المخبر عنه بالمعصة والغو اية، ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ (طه: 121)، وهو بعد ذلك المجتبى المتوب عليه المهدي؛ لذلك لم يكن غروا أن يكون وحده المهدد بالشقاء إذا خرجا من الجنة، وحواء تابعة له، فتكون كلمة "فغوى" هي ما ناسبت السياق اللغوي والقصصي في السورة الكريمة. كذلك ناسبت الفاصلة سياق الحال؛ " ذلك أن أصل العمل والقوامة والسعي في هذه الحياة إنما هو للرجال، والمرأة لرعاية الأسرة وعمل البيت، هذا هو الأصل المقرر في الدين الحق، ولذا جعل الشقاء- بمعنى الكد والتعب والسعي في الأرض- لآدم وحده دون حواء، ليكون أصلا تقتدي به ذريتهما من بعدهما" ([2]).

كذلك قد يتوهم المتلقي كسرا للسياق اللغوي رعاية للفاصلة في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى

[1] - التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسن المصطفوي، مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، ط الأولى، 1385هـ. ج3، ص231.

[2] - الفواصل القرآنية، دراسة بلاغية: السيد خضر، مكتبة الإيمان، أمام جامعة الأزهر، القاهرة، ط الأولى، 2000، ص111.

سَٰجِدِينَ (٤) (يوسف: ٤)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِى فَلَكِ يَسۡبَحُونَ (٣٣)﴾ (الأنبياء: ٣٣).

والكلمتان الكاسرتان للتوقع هما: " سَٰجِدِينَ " و" يَسۡبَحُونَ "؛ إذ جاءتا في سياق الحديث عن غير العاقل، والمتوقع (ساجدة أو ساجدات)، و (يسبح أو يسبحن)، وقد عملت الكلمتان على تناسب الفواصل، وسلامة الإيقاع، وفي التعبير عنها بالعاقل لطائف بلاغية أخرى؛ فقد أنتجت الكلمتان في سياقهما استعارة تعمل على إدهاش المتلقي، و إبراز معان كامنة في الآية؛ " فالاستنطاق الاستعاري آلة حجاج تستخدم في استكشاف أمور وفرض أمور أيضا" [1]، وفي قوله تعالى: "إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ"، و افقت الكلمة فصيح كلام العرب؛ " لأنه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود أجرى عليها حكمهم كأنه عاقلة، وهذا كثير شائع في كلامهم أن يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه" [2]. كذلك في التعبير بـ" سَٰجِدِينَ" رفعت توهم أن يكون السجود عن غير إرادة، أو أن السجود خلقتها وهيئتها، " ولكنه أراد أن يخبر والده أنه رآها ساجدة سجودا كأنه عن إرادة واختيار كسجود العقلاء المكلفين فأعاد فعل رأيت وجعل مفعوله ضمير العقلاء وجمع صفة هذا السجود جمع المذكر السالم" [3]. كذلك قد تنتج الكلمة فراسة سيدنا يوسف عليه السلام ، وعلمه بتأويل الرؤى؛ " فهو قد أولها في نفسه ولكن يحتاج إلى دعم أبيه لها وتأكيده على صدقها" [4]، فكأن نبي الله يوسف يأولها وهو يقصها على أبيه، وفيه أيضا استشراف للمستقبل بتأويل يوسف للأحلام.

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرۖ كُلّٞ فِى فَلَكِ يَسۡبَحُونَ (٣٣)﴾ (الأنبياء: ٣٣). أضفت الاستعارة المكنية في السياق القرآني" على الجماد

[1] - بلاغة الحجاج عند ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان : شوقي علي الزهرة، مجلة علم النفس المعاصر والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، المجلد 13، 2002ص138.

[2] - الكشاف: الزمخشري، ص504.

[3] - تفسير المنار: محمد رشيد رضا، ج12، ص254.

[4] - الإعجاز البلاغي في سورة يوسف: عزيزة عبدالفتاح الصيفي، دط، دت. ص37.

صفة العقل لتحركه في أفلاكه بنظام عجيب بديع لا يحيد عنه لحظة ولا يتخلف ولا يتقدم ولا يتأخر، بل هو في ذلك أضبط وأدق من كثير من العقلاء" ([1]) .

و تحيلنا الآيتان الكريمتان السابقتان إلى قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (التحريم: ١٢).فقد يتوقع المتلقي أن يكون السياق (القانتات)، فيتوهم أن كسر السياق اللغوي جاء رعاية للفاصلة فقط؛ حيث سبقت الفاصلة " ٱلْقَٰنِتِينَ " بالفاصلتين "الداخلين" "الظالمين"، غير أن وضع جمع المذكر السالم في السياق جاء من باب التغليب، وتكريم مريم عليها السلام، " أي من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم" ([2])، لاسيما وهي إحدى النساء الكوامل الأربعة.

كذلك قد يتوهم العدول في السياق رعاية للفاصلة، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾﴾ (الجن: ٢١).؛ فقد يتوقع المتلقي (نفعا) قبالة كلمة "رشدًا"، فيتفاجأ بكلمة " رَشَدًا "، ويتوهم العدول اللفظي لأجل الفاصلة؛ فقد سبقت الفاصلة القرآنية بفواصل مماثلة مثل "صعدًا، أحدًا، لِبدًا، أحدًا"، غير أن كسر التوقع هذا أنتج في هذه الآية بعض اللطائف البلاغية، فقد أنتج البديع الاحتباك، " فإن ذكر الضر أولا دل على حذف النفع ثانيا، وذكر الرشد ثانيا دل على حذف الضلال أولا" ([3]). وتبقى لطيفة بلاغية في السر وراء التعبير في الجزء الأول في بناء الاحتباك بالضر لا الضلال، وفي الجزء الثاني بالرشاد لا الضلال، ويلاحظ الباجث التخويف والتفزيع بذكر المصير؛ إذ الضر والهلاك نتيجة للضلال، وقد سارع القرآن إلى ذكر المصير؛ تخويفا وتفزيعا، ودلالة على سرعة أخذ الله لهم متى ضلوا، وأما الرشاد فيعقبه النفع، فهو من

[1] - الفواصل القرآنية، دراسة بلاغية: السيد خضر، مكتبة الإيمان، المنصورة، ط الأولى، 2000، ص114.

[2] - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المكتبة التوفيقية، ط الأولى، 2013. ج8، ص270.

[3] - نظم الدرر: البقاعي، ج20، ص494.

أسبابه ، ودعائمه، ولا يصح التعبير بالنفع مادام لايملك لهم أسبابه وعوامله وهو الرشاد، فعبر به القرآن.

أيضا قد يتوهم المتلقي كسرا للسياق اللغوي رعاية للفاصلة في قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ (التين:2)، فقد يتوقع المتلقي (سيناء)، "ومعنى سينين المبارك أو الحسن بالأشجار المثمرة" ([1]) وسيناء وسينين اسمان للموضع، جاء في معجم البلدان، "وسِينا: بكسر أوله ويفتح: اسم موضع بالشام يضاف إليه الطور فيقال طور سيناء، وهو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى بن عمران - عليه السلام- ونودي فيه، وهو كثير الشجر.. وقد جاء في اسم هذا الموضع سينين، قال الله تعالى: "ﷺ" " ([2])، وعليه فقد اختار السياق القرآني إحدى اللفظتين التي تضمن مراعاة الفاصلة دون مخالفة للقياس، بل إن الباحث يلاحظ أن الكلمة في موضعها تناسب السياق اللغوي، وتثمن أهمية التناسب في القرآن الكريم؛ فقد قيل:" إن طور سيناء ينبت فيه التين والزيتون، ويطيب ثمره، فتكون العلاقة بينهما علاقة نسبة إلى المكان، و يقوي هذه النسبة أن القرآن الكريم أشار في موضع آخر إلى منبت شجرة الزيتون، وأن طور سيناء هو أطيب منبت لها؛ إذ يقول سبحانه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْـَٔاكِلِينَ ۝٢٠﴾ (المؤمنون: ٢٠)" ([3])، وهو الموضع الوحيد في القرآن الكريم الذي ذكرت فيه كلمة سيناء، و يلاحظ فيه أنه لما كان الحديث عن شجرة واحدة وهي شجرة الزيتون، اختار اللفظة المشتملة على ياء ونون موحدتين، أما في سياق سورة التين فقد جاء السياق مبدوءا بالحديث عن شجرتين (التين والزيتون)، فاختار القرآن اللفظة المشتملة على يائين ونونين، وقد يكون هذا من باب التلاؤم، والله أعلم.

كذلك قد يتوهم كسر للقياس اللغوي، مراعاة لتوافق الفواصل، في قوله تعالى: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ (الزلزلة: 5)؛ إذ يتعدى الفعل أوحى بـ (إلى)، وقد يتوقع المتلقي موافقة للسياق (أوحي إليها)، وهو الموضع الوحيد الذي عدي الفعل أوحى فيه

[1] - التفسير المنير: وهبة الله الزحيلي، ج15، ص691.

[2] - معجم البلدان: شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر بيروت، 1977.ج3، ص300.

[3] - التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة، ج16، ص 1614.

باللام، ولتعديه باللام لطائف بلاغية تضاف إلى تناسب الفواصل، وسلامة الإيقاع؛ فقد "عُدي فعل " أَوۡحَىٰ" باللام لتضمين " أَوۡحَىٰ" معنى قال" [1]، أي قال لها، وقد ينتج تعدي الفعل باللام بدل (إلى) معنى السرعة؛ فقد"عدل عن حرف النهاية إيذانا بالإسراع في الإيحاء"[2]، وهو ما يدل على سهولة الأمر عليه تعالى، وسرعة تحقيق المأمور به، ومدى خضوع الموحى إليه، ففيه" إشارة إلى أنها بمجرد الإشارة إليها من الله، خضعت لمشيئة الله، فلم تكن في خضوعها لربها محتاجة لأن يردد القول، أو يؤكد لها الأمر، بل هو مجرد اللمح والإشارة، وهذا هو شأن الخاضع المطيع، الذي لا إرادة له مع من يأمره، إنه لا يحتاج إلى أمر صريح مؤكد، بل تغني الإشارة عن العبارة" [3]، وقد تنتج اللام معنى" التعليل أو المنفعة؛ لأن الأرض بتحديثها بعمل العصاة يحصل لها تشف منهم بفضحها إياهم بذكر قبائحهم" [4].

[1] - التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج30، ص493.

[2] - نظم الدرر: البقاعي، ج22، ص 206.

[3] - التفسير القرآني للقرآن: عبدالكريم الخطيب، دار الفكر العربي- القاهرة، ج16، ص1651، 1652.

[4] - التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، ج30، ص210.

خاتمة:

وفي نهاية الرحلة الماتعة التي شرفت بالبحث في بعض آي القرآن الكريم، يجمل البحث بعض النتائج التي كشفت عنها الدراسة، ومنها:

- لا يكون كسر أفق التوقع في القرآن الكريم ترفا لفظيا أو لمجرد جذب الانتباه، وهو ما يمايز القرآن الكريم عن الأعمال الأدبية البشرية.

- الآيات موضوع الدراسة التي كسر فيها أفق التوقع في القرآن الكريم رفعت توهما غير مراد، ولو جاءت على المتوقع المألوف لتوهم المتلقي ما لايراد من النص.

- أثبت البحث أن البناء الصوتي للكلمة الكاسر للتوقع لايأتي جذبا لانتباه المتلقي فحسب، و إنما ما يلائم السياق، والمعنى، ويثير الشعور النفسي عند المتلقي.

- لا يعتمد النص القرآن المحكم الفاصلة لمناسبة رءوس الآيات فقط، أو للمحافظة على الإيقاع الصوتي، و إنما لإنتاج معنى دلالي تفرضه السياقات المتنوعة، ولا أدل على ذلك من ترك السياق القرآني في كثير من نصوصه للفاصلة التي تسهم في سلامة الإيقاع إلى غيرها بما يقتضيه المعنى، ويقتضيه السياق.

قائمة المراجع:

- إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السـعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، المكتبة التوفيقية، ط الأولى، 2013.
- الاستيعاب في بيان الأسباب: سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، ط الأولىو 1425هـ.
- الاستيعاب في بيان الأسباب: سليم بن عيد الهلالي، محمد بن موسى آل نصر.
- الإعجاز البلاغي في سورة يوسف: عزيزة عبدالفتاح الصيفي، دط،دت.
- الإعجاز البياني في القرآن الكريم: محمد محمد داود، دار جياد للنشـر والتوزيع، ط الأولى، 2011.
- التعبير القرآني: فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط الرابعة ، 2006 . ص222.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج : وهبة الزحيلي، دار الفكر، ط العاشرة ، 2009.
- إيقاع الفواصـل المنفردة، دراسـة دلالية: محروس السـيد بريك، مجلة كلية دار العلوم،عدد 65.
- أحكام القرآن: أبو بكر محمد بن عبدالله (ابن العربي)،دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط الثالثة، 2003.
- الإتقان في علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط الأولى، 2008.
- الأمثال في القرآن الكريم: ابن قيم الجوزية، دار المعرفة للطباعة والنشـر، بيروت، لبنان، 1981.
- البرهان فى علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي ،تحقيق أبى الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، دط، 2006.
- البيان في روائع القرآن: تمام حسان، عالم الكتب، ط الأولى، 1993.
- التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دط، 1984.
- التحقيق في كلمات القرآن الكريم: حسـن المصـطفوي، مركز نشـر آثار العلامة

المصطفوي، ط الأولى، 1385هـ.
_ التفسير البياني للقرآن الكريم : عائشة عبدالرحمن، دار المعارف، ط السابعة، دت.
_ التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة .
_ الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية : ابن هشام، مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة.
_ الفاصلة في القرآن : محمد الحسناوي، دار عمار للنشر والتوزيع، ط الثانية، 2000.
_ الفواصل القرآنية، دراسة بلاغية: السيد خضر، مكتبة الإيمان، أمام جامعة الأزهر، القاهرة، ط الأولى، 2000.
_ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجود التأويل : أبوالقاسم محمد بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،ط المكتبة التوفيقية، دط، دت.
_ النكت والعيون: أبو الحسن على بن محمد الماوردى البصرى ، دار الكتب العلمية،مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
_ بديع القرآن:ابن أبي الأصبع المصري، نهضة مصر، القسم الثاني.
_ بلاغة الحجاج عند ابن وهب في كتابه البرهان في وجوه البيان : شوقي علي الزهرة، مجلة علم النفس المعاصر والعلوم الإنسانية، جامعة المنيا، المجلد 13، 2002.
_ تفسير الفخر الرازي: محمد الرازي فخر الدين، دار الفكر للطباعة والنشر،ط الأولى، 1981.
_ تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسيرالمنار: محمد رشيد رضا، دار المنار، ط3، 1367هـ،
_ حاشية القونوي على تفسير البيضاوي:عصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، دار الكتب العمية بيروت،لبنان، ط الأولى، 2001.
_ معجم البلدان: شهاب الدين أبوعبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر - بيروت، 1977.
_ معجم مقاييس اللغة : أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، تح عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،دت.
_ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، 1984.